قيمة التعاطف عند ماكس شلر

إعـــــداد

سماح عبد الحكيم سيد مصطفى

مدرس فلسفة القيم

قسم الفلسفة والاجتماع

كلية التربية جامعة عين شمس

المستلخص:

إن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان كانت– ومازالت– موضع تساؤل وبحث من قبل الفلاسفة والمفكرين، فهل الإنسان ذئب لأخيه الإنسان؟ أم ثمة إمكانية للتعايش والتعاطف بينهم؟ في ضوء ذلك، يهدف هذا البحث الي الكشف عن طبيعة قيمة التعاطف، وذلك من خلال تحليل رؤية(شلر)الفلسفية حول التعاطف، وفي هذا الإطار، تم تناول الافكار التالية: معني التعاطف، أنواع التعاطف،النظريات المفسرة للتعاطف، وتأتي أهمية البحث في كونه يتناول موضوعاً لم يتم تناوله من قبل– في حدود علم الباحثة– كما أن البحث يقدم تصور لعلاقة الإنسان بأخية الإنسان في ظل عصر التطرف والارهاب وذلك في إطار العلاقة التفاعلية بين الفلسفة والمجتمع، وقد استخدمت الباحثة المنهج"التحليلي النقدي" لاستخلاص رؤية شلر لقيمة التعاطف، وانتهي البحث إلي أن التعاطف جوهر الإنسان، والتعاطف يحطم الأنانية والشرور الأخلاقية للأنا، ويفتح القلب والعقل، ويميز(شلر) بين أربع حالات للتعاطف (التأثر الوجداني،المشاركة الوجدانية،العدوي الوجدانية،التفاهم الوجداني)

الكلمات المفتاحية.

التأثر الوجدانى – المشاركة الوجدانية – العدوى الوجدانية – التفاهم الوجدانى

Abstract

The relationship of man with his brother man was - and is still- questioned and researched by philosophers and thinkers، so is man a wolf to his fellow man, or is there a possibility of coexistence and sympathy between them? In light of this, this research aims to reveal the nature of the value of sympathy, through an analysis of (Schaller's) philosophical vision on sympathy, and in this context, the following ideas were addressed: the meaning of sympathy, types of sympathy, theories explaining sympathy, and the importance of the research is in its being It deals with a topic that has not been addressed before - within the limits of the researcher's knowledge. The research also provides a perception of man's relationship with man's brotherhood in the era of extremism and terrorism within the framework of the interactive relationship between philosophy and society. The researcher used the "analytical and critical" approach to extract Schler's vision of the value of empathy. The research concluded that sympathy is the essence of the human being, and sympathy destroys egoism and the moral evils of the ego, opens the heart and mind, and distinguishes (Schler) between four states of sympathy(Community of feeling,Fellow feeling,emotional infection, emotional Identification).

Key-words .Max Scheler - Community of Feeling-(fellow-feeling)-Emotional infection-Emotional identification

قيمة التعاطف عند ماكس شلر*

المقدمة :

الإنسان هو كائن معقد، متعدد الجوانب – النفسية، البيولوجية، الاجتماعية، الجغرافية .... الخ–، لذا تتعدد العلوم التي تهتم بدراسة وتحليل الشخصية الإنسانية لفهم كيفية عملها، وتفسير الأفعال التي يقوم بها، ولكن تظل قيمة الإنسان (الأنا) كامنة في علاقاته الاجتماعية مع الآخرين (الآخر)، فضلاً عن مكانته داخل مجتمعه الذي يعيش فيه، والدور الذي يلعبه داخل المجتمع، لذا فإن البعد الاخلاقي القيمي يعتبر بمثابة المرآة التي نتعرف من خلالها على طبيعة الفرد وماهية ذاته، وجوهر تفكيره.

ومما لاشك فيه، أن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان كانت – ومازالت – موضع تساؤل في بناء القيم الاخلاقية لأي مجتمع من المجتمعات، ومن الضروري الآن ونحن في عصر التكنولوجيا، التي كما ساعدت الإنسان في إشباع العديد من الحاجات المختلفة فأنها علي الجانب الآخر أقامت أسوارًا، وقللت من التفاعلات الاجتماعية بين الأنا والآخر، وترتب على ذلك عدم فهم الإنسان لأخيه الإنسان؛ فزاد التصادم والتطرف والاضطهادات والعنصرية؛ لأن الذات بمساعدة التكنولوجيا انغلقت على نفسها، فلا يظهر منها إلا الطابع المادي الظاهر، وتخفي أفكارها

---

* ماكس شلر Max scheler (1874– 1928) فيلسوف ألمانى، وعالم ظاهريات phenomenologist ولد فى ميونخ munich من أب بروتستانى وأم يهودية , درس فى جامعات "ميونخ" و"كولونيا" ثم دعى للتدريس فى جامعة فرانكفورت , يعد شلر أول الفلاسفه الفنومنولوجين بعد أدموند هوسرل Edmund Huesserl (1859 – 1938) انظر :

The Encyclopedia of Philosophy : Editor in Chief, Paul Edwards, new york, 1967, volume one, P, p.302.

ومعتقداتها، لذا يكون التصادم بين الأنا والآخر حتمياً في حال الدخول في علاقات اجتماعية، وذلك لغياب الحوار الحقيقي بين الأنا والأخر.

وتأسيساً على ذلك، فإن البحث عن إجابة للتساؤل الرئيس حول العلاقة بين الأنا والآخر، هل هي صراع أم سلام؟ محبة أم كراهية؟ تعاون أم فردية؟ يعد أمراً ضرورياً ، وتشكل إلاجابة على هذا التساؤل جوهر القيم الأخلاقية في أي مجتمع من المجتمعات، وعلى أساسها تكون السمة الاخلاقية السائدة في المجتمعات، ويعتبر (التعاطف Sympathy) من أهم العلاقات التي تجمع الأفراد داخل المجتمع، ووفقاً لدرجة التعاطف داخل المجتمع تكون درجة التماسك الاجتماعي، وتستمد قوة المجتمع من قوة الشعور المشترك بين الأنا والآخر داخل المجتمع، فالفرد يتعاطف مع الآخرين من حوله في حالات الألم التي يتعرضون لها، أو في حالات السرور التي تمر عليهم، والسؤال هنا: هل يمكن اعتبار التعاطف ذا قيمة أخلاقية؟

وفي تلك الورقة البحثية نحاول أن نلقي الضوء على رؤية (ماكس شلر Max scheler) لإشكالية العلاقة بين الأنا والآخر فيما أطلق عليه (التعاطف)، محاولين الإجابة على مجموعة من التساؤلات التالية :

ما التعاطف؟

ما أنواع التعاطف وتصنيفاته؟

هل للعقل دور في التعاطف؟

ما هي النظريات المفسرة للتعاطف؟

هل التعاطف قيمة أخلاقية؟

أولاً: ما التعاطف؟

تعاطف القوم يعنى عطف بعضهم على بعض، والتعاطف(Sympathy) ظاهرة نفسية تقوم على مشاركة الآخرين فيما يشعرون، وله صورة ابتدائية وهي التعاطف الجسدي الذي يقوم على انتقال الحركات والأفعال من شخص إلى آخر بالتقليد العفوي أو العدوى، كالمشاركة في الضحك والسعال، والمجاورة في السير، وله أيضاً صورة نفسية مصحوبة بالوعي، كأشتراك شخصين أو عدة أشخاص، في حالات نفسية متماثلة كالخوف، أو السرور، أو الغضب، أو الحزن، وقد يطلق التعاطف على المشاركة بين شخصين ليس بينهما اتصال مادي مباشر، أو على تجاذب شخصين ليس بينهما معرفة سابقة، ومعنى التعاطف شعور الشخص بما يشعر به الآخر ، فالتعاطف إذن هو الاشتراك في الميول والعواطف، والاتحاد في الأفكار والمنازع . [1]

والتعاطفي (Sympathique) هو المنسوب إلى التعاطف (للإيثاريAltruiste)، والتعاطف عند بنتام أساس فلسفة الأخلاق، وهو اشتراك كائنين أو شخصين فى مشاعر ووجدانات عن طريق التأثير أو المحاكاة؛ فيطلق على جاذبية يحس بها شخص تجاه آخر؛ حتى قبل أن يعرفة معرفة جيدة، ويعرفه ليبنس "أن التعاطف يجعل الإنسان سعيداً بسعادة الآخرين، وشقياً بشقائهم.(2)

ويعرف(شلر) التعاطف : "هو وظيفة حيوية هامة، يشعرني بأن ثمة تساوياً في القيمة بين "ذاتي" و "ذوات" الآخرين ، من حيث هم موجودات بشرية أو كائنات

(1) جميل صليبا : الجزء الأول : المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ، عام 1982، ص 296.

2) جميل صليبا : الجزء الأول : المعجم الفلسفي، مرجع سابق ، ص 297.

حية ، فالتعاطف ليس مجرد مشاركة وجدانية في الألم والسرور فحسب "[1] ، بل أن التعاطف: "يحطم الأنانية والشرور الأخلاقية للأنا ، ويفتح القلب والعقل أيضاً " .[2]

أعطى شلر للعاطفة أهمية كبيرة . مثلة فى ذلك مثل أوغسطين وبسكال وأراد أن يعيد لها اعتبارها، بعد أن رفضها كانط وغيره من الفلاسفة، وذلك عن طريق إعادة تناول الحياة من خلال تطبيق منهجة الفنومنولوجى الذى أراد أن يحطم العزلة الشديدة الصلبة بين العقل والعاطفة أو بين الاتجاه الإدراكى المتطرف وبين الاتجاه العاطفى المتطرف. وفى ضوء ذلك يقول شلر إن الثنائية بين العقل والعاطفة تمتد إلى الفلسفة اليونانية أمثال أفلاطون (تصور أفلاطون أن الشهوة والعاطفة جوادين يجران عربة يمسك باللجام سائق العربة أى العقل). ويمتد . أيضا. إلى الفلسفة الحديثة المتمثلة عند بعض الفلاسفة العقليين أمثال ديكارت، اسبنوزا، ليبنز. فهؤلاء الفلاسفة يردون الحياة العاطفة إلى العقل، بل قد يبالغ البعض فى تمجيده لكانط رفض العاطفة أما شلر فقد رأى أن الحياة العاطفية والإدراك الوجدانى لا يمكن ردها إلى العقل لما لها من طبيعة قصدية. فالقيم تتكشف من خلال الحدس العاطفى وليس من خلال حدس عقلى .

يقول شلر:" إن التعاطف يحطم الانانية والشرور الأخلاقية للأنا وهى تفتح القلب ومعه العقل أيضا. وهى وظيفتها الحقيقية العظيمة وتعتبر من المواعظ الهامة لديه؛ لأن العاطفة عند شلر هى عاطفة بمعناها الحرفى والحب أيضا هو الحب الحقيقى الذى يوصف بالعقل التلقائى حيث تكون العاطفة مجرد أمرا ثانويا أو أنها استجابة لخبرات الأخرين، فالحب طبقا لشلر يجعلنا نرى ونبصر ونخترق الأغطية الخارجية والأسوار، التى تخطى الذات الحقيقية من خلال المظهر

(1) Max Scheler: The Nature of Sympathy,Translated From The German by Peter Heath ,B.A., London. 1970, p. 22.

(2) Ibid, prefece.

البدنى والقناع الاجتماعى من خلال انتشار اللغة ولفظيتها التى تخدع البشر.[1]

إن التعاطف يتطلب مسافة سيكولوجية لا يتخلل أو ينفذ منها إلى الشخصية التى تعانى، والتى نعرف أنها هناك ، يقول شلر "أن عدم قدرتنا الرؤية داخل قلوب كل منا . الأخر حتى داخل قلوبنا نفسها. هى مكون اساسى لكل خبرات التعاطف وحتى لكل أنواع الحب التلقائى.

ونستخلص من ذلك التعريف أن التعاطف يتضمن إمكانية الشعور بالآخر، شعوراً كاملاً لا يتوقف فقط على الأمور المادية الظاهرة التي يبدوا عليها الآخر، شعوراً قائماً على القلب والعقل معاً، وتصبح النتيجة أن التعاطف يتضمن أن يضع الفرد (الأنا) نفسه في موضع الشخص الذي يتعاطف معه (الآخر) دون ان يتبادلا الأدوار، أو بمعني أدق دون ان تذوب الأنا في الآخر.

فشلر يطبق المنهج الفينومنولوجي في دراسته لشعور التعاطف ويرى أن : " ليست الفنومنولوجيا اسماً لعلم جديد وليست بديلاً لكلمة ' الفلسفة ' ، بل ، هى اسم يطلق على ' اتجاه نظر روحى ' يستطيع المرء أن يرى فيه ويخبر شيئا يظل . خلافا لهذا مختبأً، أعنى نطاقا من الوقائع من نوع خاص " [2] .

ومن الوقائع التي من نوع خاص، واقعة التعاطف مع الآخر، فهذا الشعور الذي يجعلني اشارك الآخر في أفراحه وفي أحزانه، يعتبر واقعة من نوع خاص، يعتبرها جوهر الإنسان:

---

(1) Ibid, prefece.

(2) Scheler– Formalism, Preface,ed.1973 and ,Phenomenology and the theory of Cognition in selected philo–sophical Essays , p.136, trans.by David R. Lachterman, Ed.1973

فالتعاطف مع الآخر يعد جوهر الإنسان – كما يرى شلر– فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يملك القدرة على استخلاص ماهيته من الوجود ، وهذا ما جعله مخلوقاً فريداً له استقلاله الذاتي من جهة واتصاله بجانبه الاجتماعي واندماجه في المجتمع من جهة ثانية . ([1])

ومعني ذلك، أن التعاطف والمشاعر الأخلاقية المختلفة تعبر عن جوهر الإنسان وماهيته الذاتية، والسؤال الآن: هل التعاطف عملية عقلية؟

يؤكد (شلر)على أن التعاطف ظاهرة نفسية لا يمكن ردها إلى عمليات عقلية (كالاستنباط أو الاستدلال أو البرهان العقلي)، بل لابد من اعتبارها فعلاً أولياً بدائياً من أفعال الوجدان أو العاطفة، فالحياة العاطفية والإدراك الوجدانى لا يمكن ردها إلى العقل لما لها من طبيعة قصدية، فالقيم تتكشف من خلال الحدس العاطفى وليس من خلال حدس عقلى. ([2])

معني ذلك، أن التعاطف لا يقوم على أسس عقلية، بل يعتمد على الحدس الوجدانى كوسيلة لإدراكه، وكذلك يعتبر(شلر) القيم الأخلاقية تخضع للحدس الوجداني وليس العقل، والحدس الوجدانى هو رؤية مباشرة تحدث بنور إلهى أو بلمعة من الوحى، دون الحاجة الي برهان عقلي، والعاطفة هى عاطفة قبلية ولكنها عاطفة عارفة وليست عاطفة عمياء، فشلر يُفضل 'منطق القلب' أو 'نسق الحب' على الاستدلالات والنظريات فى دراسة الأخلاق، والقيم والدين والحياة الوجدانية.

والسبب في ذلك يرجع إلي رفض شلر التصور العقلاني المجرد للشخص الإنساني، لأنه يؤدي الي الإغراق في التجريد والانفصال عن الواقع، في حين لا

(1) وفاء عبد الحليم محمود, فلسفة القيم عند ماكس شلر , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع , الاسكندرية , 2004 , ص 411.

(1) وفاء عبد الحليم محمود , فلسفة القيم عند ماكس شلر , مرجع سابق ، ص 444، 445.

يمكن فصل الشخص عن عالمه وواقعه وتجربته المعاشه المسايرة لأخلاقة المادية التي لا تقبل الصورية المثالية. ([1])

وهو في ذلك يرفض التصور الكانطي للانسان على انه كائن عقلاني، ويرى ان الرؤية الكانطية قد جعلت الإنسان مجرد شخصاً عقلياً أي ذو طابع عقلاني فقط، فالشخص هو مجرد فاعل منطقي للأفعال المعقولة، أي الأفعال الخاضعة لقوانين الإرادة والنية الطيبة ليكون في النهاية مجرد تسلسل لنشاط عقلي عملي. ([2])

فطبيعة الإنسان –الأخلاقيه –عند شلر غير مقتصره على جانبة العقلي المنطقي، فهو ليس جوهراً مفكراً فقط، بل يشمل الفعل والأنفعال والعاطفة والشخصية المعبرة عن وحدة أفعاله التي يؤديها مثل الحب والكراهية والزهد والتعاطف والتوبة والاهتمام، وغيرها من الظواهر الاخلاقية التي تتدخل في وجوده ومصيره. ([3])

وتأسيساً على ذلك، فان ماهية الإنسان الحقيقية –عند شلر–ليست في كونه الكائن العاقل المفكر، ولكنها تكمن في اعتباره ذلك الكائن المنفعل بالآخر المتجاوب معه، المتعاطف معه، المحب له، بالإضافة الي انفعالاته ومواقفه الأخلاقية السلبية مع الآخر مثل، الكراهية وعدم الاهتمام، الحقد، الحسد، الغيرة ... الخ. والسؤال هل معني ذلك أن التعاطف فطري؟

(1) احمد عبد الحليم عطية : فينومينولوجيا الشخص وتجربة العيش المشترك "ماكس شيلر ولحبابي نموذجاً , أوراق فلسفية ,العدد 62, 2020 ص105

(1) Scheler– Formalism, Preface,ed.1973 and ,Phenomenology and the theory of Cognition in selected philo–sophical Essays , p.12, trans.by David R. Lachterman, Ed.1973.

(3) زهير الخويلدي : تشريح العقل الغربي , " مقابسات فلسفية في النظر والعمل , ابن النديم للنشر والتوزيع , لبنان , 2013 , ص 216

الجواب بالإيجاب ، ويعبر عن ذلك شلر بقوله : تعتبر المشاركة الوجدانية جزءاً لا يتجزأ من صميم تكوين الروح الإنسانية، فذلك لأن طبيعة"الذات" أو"الأنا الفردية" تتجه نحو الذوات الأخرى، وأن تُدرَك مشاعر تلك الذوات من خلال تعبيراتها الوجدانية، حقا أن البعض قد يتصور أننا لا نرى سوى جسم "الآخر" وأننا لا ننسب إليه بعض المشاعر أو العواطف، ولكن من المؤكد أن جسم " الآخر" إنما هو مجال تعبيره، فنحن نقرأ فى حمرة وجهه (خجلة) أو فى ضحكاته (سروره) وهناك رابطة جوهرية عينية بين الذوات وعواطفها بأننا ندرك الآخر إدراكاً مباشراً من صميم تعبيراته العاطفية . ([1])

إذن – في اعتقادي– أن فعل التعاطف – كما يراه شلر– هو أمر فطري في الإنسان، فالفرد دائماً يتأثر بالمواقف والأحداث الي تمر من حوله، حتي وان كانت ليست مواقفه هو، فتجده يحزن لحزن شخص، أو يفرح لفرح آخر، ولا تربطه بهم أية علاقة سوي علاقة الإنسانية، ولكن على الرغم من فطرية شعور التعاطف، إلا أن الإنسان يكتسب من البيئة المحيطة ممارسات التعاطف مع الآخر، ففي الفرح – على سبيل المثال– تختلف أشكال ممارسة التعاطف من دولة الي دولة، بل وداخل الدولة الواحدة، وهذا يعني لدي أن شعور التعاطف فطري وواحد لدي الإنسان، ولكن كيفية التعبير عن التعاطف مع الآخر هي أمر مكتسب وفق الثقافة التي تربي الفرد علىها .

والسؤال هنا يكون : هل التعاطف يعني انصهار الذوات معاً؟

الجواب: بالنفي، فليس من شأن التعاطف أن يذيب الفوارق الفردية القائمة بين الذوات، ولكن التعاطف مشاركة وجدانية تفترض الانفصال بين الذوات، وتترك مسافة بين الشخصيات، فالتعاطف هو أبعد ما يكون عن العدوي الوجدانية أو

(1) Max Scheler: The Nature of Sympathy, p.13.

الامتزاج العاطفي، فالتعاطف لا يقضي على إمكانية وجود هوية مستقلة للأشخاص، بل على النقيض، يقرر وجود اختلافات جوهرية بين الذوات. ([1])

فالتعاطف إنما هو قدرة نفسية موجودة لدينا، تعني التجاوب مع حالات الآخرين الوجدانية، بحيث يستشعر الفرد سرورهم، دون أن نصبح نحن أنفسنا "مسرورين"، ونستشعر الألم دون أن نصبح نحن أنفسنا متألمين، فالتعاطف يفترض الأنفصال بين الذوات وتظل محتفظة بتلك المسافة أو ذلك البعد الذى يفصل بين الشخصيات، فتعاطفي مع الآخرين لا يعنى أن سرورهم قد أصبح سرورى أو أن ألمهم أصبح ألمى ، فليس فى التعاطف الحقيقي أى تقمص وجداني أو اندماج عاطفي .

فيقول شلر : " رغم مشاركتنا لآلام الآخرين أو مسراتهم لا تتضمن حالة مماثلة لتلك التى نشارك فيها ... أي أننا نستطيع أن نشارك فى آلام الآخرين أو مسراتهم، دون أن نتألم نحن أو نسر بالفعل." [(2)]

فقد يكون من الخطأ أن نتصور أن المشاركة الوجدانية هي بمثابة نفاذ مطلق أو أختراق تام لشخصية (الآخر)، وكأن التعاطف يزيح النقاب عن فردية الذات التي نتعاطف معها، لكي يجعلها كتاباً مفتوحاً أمامنا وليس علينا سوي أن نقرأه، فليس من شأن التعاطف بين الأنا والآخر أن يصهر الذوات في بوتقه واحدة أو أن يذيب الفوارق الفردية القائمة بين الشخصيات، فالتعاطف هو مشاركة

(1) Ibid, p. 30.

(2) Max Scheler : The Nature of Sympathy, P.12.

وجدانية تفترض الانفصال بين الذوات، وتظل محتفظة بمسافة تفصل بين الشخصيات. ([1])

ونخلص من ذلك، الي أن التعاطف – عند شلر – هو حالة نفسية وانفعال يتم بين الأنا والآخر ولكن لا يصاحبه اندماج أو ذوبان للأنا داخل أحداث وأنفعالات ومواقف الآخر، ولكن هل هذا التصور ينطبق على كافة المواقف؟ وهل التعاطف–بهذا التصور–يتم مع كل الاشخاص الذين نتعامل معهم بنفس الدرجة؟

ثانياً:أنواع التعاطف :

يقدم (شلر) أربع حالات من التعاطف قد يقوم بها الفرد مع المحيطين به في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه وهي :

أ. التأثر الوجداني (COMMUNITY OF FEELING) :

الحالة الأولي (التأثر الوجداني)، ويحدث نتيجة تجمع الأفراد فى وسط اجتماعى مشترك، فهذا التجمع هو الكفيل بإشاعة روح من التجاوب بينهم، فحينما يتعرض الآخرين الي الألم أو المسرات، فإن الآلام أو المسرات تصبح بمثابة انفعالات شخصية أعانيها بوصفها آلامى الخاصة أو مسراتى الخاصة، وهنا لا تكون بإزاء حالة تعاطف حقيقى، ما دمت لا اشارك فى انفعالات الآخرين بوصفها انفعالاتهم. ([2])

فعندما يقف الوالدين أمام جسد ابنهما الذي توفى يشعران بالحزن المشترك وبنفس الدرجة، هذا لا يعني أن A يشعر بهذا الحزن وB يشعر به أيضاً وأن كلاهما يعرف أن الآخر يشعر به، إلا أنه شعور مشترك فشعور A بالحزن لا يعتبر

([1]) زكريا ابراهيم , مشكلات فلسفية"مشكلة الحب" ,مكتبة مصر , دار مصر للطباعة , القاهرة , 1984 , ص 64.

(2) Max Scheler : The Nature of Sympathy, p. 30.

شعوراً خارجياً وفنومنولوجيا بالنسبة لـ B كما هو بالنسبة لصديقهما C الذي يلتحق بهما ويشترك معهما ويرثي لهما.

وسيكون من الواضح إننا نستطيع فقط الشعور بالمعاناة الذهنية في هذا الأمر. وليس بالألم البدني أو المشاعر والأحاسيس وليس هناك ما يسمى بالألم المشترك وأنواع الشعور والأحاسيس هي بطبيعتها غير عرضة لأعلى أنماط التعاطف وفي هذه الحالة لا يكون لدى كل من الأب والأم ألم منفصل، بل حالة مشتركة من الألم تستنفذ سوياً في وقت واحد.يقول شلر :" رغم مشاركتنا لالام الأخرين أو مسراتهم لا تتضمن حالة مماثلة لتلك التى نشارك فيها . وهو يعنى بذلك أننا نستطيع أن نشارك فى ألآم الأخرين أو مسراتهم ، دون أن نتألم نحن أو نسر بالفعل" . [1]

ب . المشاركة الوجدانية: (FELLOW FEELING) :

الحالة الثانية مختلفة تماماً فحزن الشخص ببساطة ليس سبباً دافعاً لحزن الآخرين، فالمشاركة الوجدانية ككل تحتوي على مرجعية انتباهية للشعور بالفرح أو الحزن لخبرة شخص آخر.

وتعتبر المشاركة الوجدانية جزءاً لا يتجزأ من صميم تكوين الروح الإنسانية، فذلك لأن طبيعة " الذات" أو "الأنا الفردية" تتجه نحو الذوات الأخرى وأن تدرك مشاعر تلك الذوات، حقا أن البعض قد يتصور أننا لا نرى سوى جسم "الآخر" وأننا لا ننسب إليه بعض المشاعر أو العواطف، ولكن من المؤكد أن جسم "الآخر" إنما

(1) Ibid, P.12.

هو مجال تعبيره فنحن نقرأ فى حُمره وجهه خجلة أو فى ضحكاته سروره، فإننا ندرك الآخر إدراكاً مباشراً من صميم تعبيراته العاطفية. ([1])

وإن التعاطف يفترض الأنفصال بين الذوات وتظل محتفظة بتلك المسافة أو ذلك البعد الذى يفصل بين الشخصيات . ومعنى هذا أن التعاطف الحقيقى هو أبعد ما يكون عن العدوى الوجدانية أو التقمص العاطفى ، ما دامت المشاركة لا تقتضى وجود "هوية" جوهرية بين الأشخاص ، بل هي تفترض . على العكس . وجود أختلاف جوهرى بينهم.والواقع أن تعاطفي مع الآخرين لا يعنى سرورهم قد أصبح سرورى أو أن ألمهم أصبح ألمى ، بل هو يعنى أننى أشارك فى ألمهم بوصفها آلامهم فليس فى التعاطف الحقيقي أى تقمص وجداني أو اندماج عاطفي كما قال ليبنس بل لابد أن تقل المسافة الفنومنولوجية التي تفصل بين الذوات قائمة في مثل هذا النوع من المشاركة الوجدانية.

حيث أن تعازي ومواساتي ومعاناتي للآخر هي حقائق مختلفة عن بعضها وليست حقيقة واحدة كما في الحالة الأولى، وهو تعاطف يتم عن طريق المشاركة في ألم الآخر أو سروره بوصفه ألمه هو أو سروره هو، وهذا يكون بإزاء مشاركة وجدانية تتواصل من خلالها المشاعر دون أن يفقد كل منها استقلاله الذاتي.

ج . العدوى الوجدانية : (EMOTIONAL ENFICTION) :

وهذه الحالة مختلفة تماماً عن الحالة السابقة حيث لا يكون المظهر الحقيقي للتعاطف موجوداً مطلقاً، فكلنا نعرف كيف أن الجو المفرح والمبهج لحالة أو لحفلة يمكنه أن يؤثر في الضيوف الجدد القادمين للحفلة، والذين ربما يكونون مكتئبين من قبل دخولهم، ولذا فنجدهم يسبحون في فرحة عارمة وسائدة، وبالطبع

(1) Ibid , p.13.

فإن هؤلاء الناس بعيدين عن مثل هذه الفرحة على قدم المساواة من النوع الأول أو الثاني [1].

ونفس الشيء يحدث عندما تتأثر وتصاب مجموعة بنغمة حزينة لأحد أفراد هذه المجموعة كما يحدث كثيراً بين النساء العجائز، عندما تحكى إحداهن أحزانها ومخاوفها فنجد أصدقاؤها في الجلسة يزدادوا حزناً، وعامة فإن هذا من سمات العدوى العاطفية أنها تحدث فقط كانتقال حالة شعورية ولا تفترض أى نوع من أنواع المعرفة بالسعادة التي يشعر بها الآخرون، إلا أنه قد يلاحظ الفرد بعض الملاحظات تجاه الشعور بالحزن، المصادف به داخل النفس بحكم مقارنتها بالعدوى.

والعواطف التي نشأت عن عدوى أو إصابة تُعيد نتاج نفسها مرة أخرى، وهكذا ندخل في هذه الحالات بدون إدراك، وعندما يقول شخص أنه يريد أن يرى وجوها مبتسمة حوله، فإنه لا يعني أنه يود أن يشاركهم سعادتهم لكن يأمل في العدوى، فهم وسيلة وطريق لسعادته [2].

وفي تلك الحالة، وتنتقل منها إلينا آلام الآخرين أو مسراتهم، فتصبح آلامنا نحن ومسراتنا نحن، كما هو الحال مثل حيثما نتردد على أوساط كئيبة ليشيع فيها الحزن فلا نلبث أن نجد أنفسنا مسرورين ولكن من المؤكد أن هذه العدوى الوجدانية ليست من التعاطف في شيء.

والسبب في ذلك أن هذه العدوى الوجدانية لا تنطوي على أية مشاركة حقيقية في خبرات الآخرين، أو أي اتجاه وجداني من أجل العمل على فهم موقف

(1) Max Scheler: The Nature of Sympathy, P.15.

(1) Ibid , P. 16.

الآخرين، بل هي مجرد حالة سلبية تنتقل فيها إلينا انفعالات الآخرين بطريقة لا إرادية، كما هو الحال مثلاً بالنسبة إلى الفتيات المراهقات حين تنفجر الواحدة منهم ضاحكة فلا تلبث الأخريات أن يضحكن ضحكاً عالياً متواصلاً دون أن يقوم بينهن أي تعاطف وجداني حقيقي، وعلى حين أن التعاطف يستلزم قصداً وجدانياً أو اتجاهاً عاطفياً بإزاء آلام الآخرين أو مسراتهم.

نجد أن العدوى الوجدانية إنما تتحقق في مجال "الحالات الوجدانية" دون أن تكون هناك أية معرفة متعلقة بمسرات الآخرين أو آلامهم لدى الأشخاص الذين يتعرضون لها. وما نسميه باسم "العواطف الجماعية" إنما هو في كثير من الأحيان مجرد انتشار لبعض الحالات الوجدانية عن طريق العدوى خصوصاً وأن تجمع الأفراد في وسط اجتماعي مشترك كثيراً ما يكون هو الكفيل بإشاعة روح التجاوب بينهم، وانتشار بعض التأثيرات الوجدانية المشتركة فيما بينهم وليس من شك في أنه حينما تسري إلى عدوى آلام الآخرين أو مسراتهم فإن هذه الآلام أو المسرات تصبح بمثابة انفعالات شخصية أعانتها بوصفها مسراتي الخاصة. وهنا لا يكون بإزاء حالة تعاطف حقيقي ما دمت لا أشارك في انفعالات الآخرين بوصفها انفعالاتهم.([1])

ويقول شلر إن مشاركة آلالام الآخرين أو مسراتهم لا تتضمن حالة مماثلة لتلك التي تشارك فيها، وهو يعني بذلك إننا نستطيع أن نشارك في آلام الآخرين أو مسراتهم دون أن تتألم نحن أو نسر بالفعل.وهى شعور يشارك فيه شخص ما عاطفة شخص أخر ، أتوماتيكياً أى أن الشعور العدوى الوجدانية بمثابة حالة نفسية تغمرنا بضرب من الانفعال الجماعى . كما هو الحال فى اللعاب الأولمبية مثلا نجد الناس يشتركون جميعا فى الفرح بفوز فريقهم . فالعدوى الوجدانية .

(1) Ibid, p. 17.

ليست من التعاطف لأنها تفتقد القصدية تجاه آلام الآخرين ومسراتهم، ولا تنطوى على أى مشاركة للآخرين وفهمهم . فهى مجرد حالة ينتقل فيها الشعور إلى نفس الآخر، وهذا الانتقال سلبي فهو حزن أو فرح ينتقل من جماعة إلى فرد جديد، وعندما تنشر مثل هذه المشاعر يمكن أن يحدث تركيز متبادل لها.

وعلى حين، أن التعاطف يسلتزم قصداً وجدانياً أو اتجاهاً عاطفياً بإزاء آلام الآخرين أو مسراتهم، نجد أن أن العدوى الوجدانية إنما تتحقق في مجال "الحالات الوجدانية" دون أن تكون هناك أية معرفة متعلقة بمسرات الآخرين أو آلامهم لدى الأشخاص الذين يتعرضون لها، وما نسميه باسم "العواطف الجماعية" إنما هو في كثير من الأحيان مجرد انتشار لبعض الحالات الوجدانية عن طريق العدوى خصوصاً وأن تجمع الأفراد في وسط اجتماعي مشترك كثيراً ما يكون هو الكفيل بإشاعة روح التجاوب بينهم، وانتشار بعض التأثيرات الوجدانية المشتركة فيما بينهم .([1])

د . التفاهم الوجداني:(EMOTIONAL IDENTIFICATION) :

وفي تلك الحالة، يعتبر التفاهم الوجداني الحاسة الحقيقية للوحدة الشعورية العاطفية وقانون تحديد ذات شخص ما ووصفها وتمييزها عن ذات أخرى، فهي شكل عالي وحالة محددة كما كانت ذات عدوى وإصابة، فهي تمثل حداً لا تكون فيه عملية شعورية منفصلة تؤخذ بلا وعي كسمة لشخص ما، بمعني أن في تلك الحالة يستطيع المرء أن يفهم مثلاً قلق شخص ينتحر دون أن يستشعر هو نفسه ما يشبه هذا القلق فنحن هنا بإزاء تعاطف يقوم على الفهم. [(2)]

(1) Max Scheler: The Nature of Sympathy , p. 17.

(2) Ibid , P.18.

هكذا قدم (ماكس شلر) تصنيفاً للتعاطف والتقارب الوجداني بين الأنا والآخر، ويبدو لي أنه أراد أن يوضح أن التعاطف هي جوهر النفس البشرية والروح الإنسانية، ولكن يختلف في شدته وفي كيفيته وفقاً للعلاقة القائمة بين الأنا والآخر:

فالمشاركة الوجدانية فهي أمر مشترك وعام بين البشر جميعاً، ولكن يؤكد (شلر) على ضرورة عدم ذوبان الأنا في الآخر، لأن ذوبان واندماج الأنا مع الآخر –في اعتقادي–بشكل كبير يؤدي الي مشكلات نفسية متعددة منها التوحد، والاكتئاب، والعديد من الامراض النفسية، لذا نجد شلر يؤكد على ضرورة ترك مسافة بين الأنا والآخر.

فإذا تواجدت (الأنا) في مكان ينشر السرور والسعادة (كالفرح– اعياد الميلاد....الخ) ولكن لا توجد علاقة اجتماعية أو ترابط بين الأنا والآخرين، هنا نجد (الأنا) تتعاطف مع الآخرين وينتقل اليها بعض شعور الفرح والسعادة على الرغم من مكنوناتها التي قد تتعارض معه، وهذا ما أطلق عليه شلر(العدوي الوجدانية) .

وإذا تواجدت (الأنا) في مكان ينشر السرور والسعادة (كالفرح– اعياد الميلاد....الخ) ولكن توجد علاقة اجتماعية وترابط قوي بين الأنا والآخرين، هنا نجد (الأنا) تتعاطف مع الآخرين وينتقل اليها شعور الفرح والسعادة، وهذا ما أطلق عليه شلر(التأثر الوجداني)، فهنا الأنا على معرفة بالآخرين والظروف والملابسات المحيطة بهم، وبالتالي فان تعاطفهم قائم على الوعي بالموقف .

ثم يتحدث شلر عن (التفاهم الوجداني)، والذي يكون تعاطف قائم على فهم للمواقف التي تعرض على الأنا، فالأنا تتعاطف من خلال فهمها ومعرفتها بالمواقف التي يتعرض لها الآخر.

بعد هذا التحليل لهذا التعاطف الذي يجمع بين البشر جميعاً بقي أن نسأل عن كيفية تفسير عملية التعاطف التي تتم بين الأنا والآخر؟

ثالثاً: النظريات المفسرة للتعاطف :

1-النظريات الوراثية :

النظريات الوراثية للتعاطف تحاول وتهتم بتفسير التعاطف دون الرجوع إلى الخيال الآلي والذاتي ، فهذه النظريات تصرح بأن إدراك ومعرفة الأغراض والظروف المحيطة للسعادة والحزن لدى الشخص (الآخر) سواء كانت لها تأثير يظهر في الوقت الحاضر أم لا ، وذلك لإعادة إنتاج سعادة مماثلة أو حزن مماثل موجود من قبل لدى الفرد أو فرد آخر ، حيث تفعل هذا بصورة غير مباشرة عن طريق ميلاً لمحاكاة الأغراض المعروفة جيداً . [1]

فتري أن الكائن البشري يعيش ذهنياً – بصورة كبيرة – على ما يدور حوله ومن حوله وطريقة تفكيرهم أو على عضو وحيد من معارفه ، بمعنى أن يشارك الأخير خبراتهم كما لو كانت خبراته هو شخصياً ولا يتأثر بأفكارهم وآراءهم فقط ، بل يعتبر شريك فيها ، ويحدث التعاطف نتيجة إعادة الإنتاج السابق للعاطفة ، وهذه العملية من إعادة الإنتاج ينبغي أن تقدم بالضرورة المشاعر المطلوبة كما تم الشعور بها وكأنها ملكي أنا .

ولنهتم أولاً بالحالات التي يمكن أن تنشأ فيها عملية إعادة الإنتاج هذه ، فكل شخص يمكن أن يجد خبرة الدخول في متاعب خطيرة لشخص ما واختيار أحد أقاربه المهتمين أو صديق له بما يزعجه أو يحزنه ، وربما يكون قد لاحظ كيف أن السير محل الجدل عوضاً عن الدخول في ظروف زائرة نجده يأخذ حكاية الأخير كفرصة للدخول والانغماس في فيضان أو قدر كبير من التفكير أو تذكر نفسه أو

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P.P 41-43.

شيئاً مشابهاً لهذا حدث له ذات مرة وماذا فعل حينئذ بخصوصه ، فهذه هي الحياة كما يقولون . [1]

حتى في المثال الأول المذكور آنفاً (موقف الأب والأم تجاه موت الابن) كانت عملية العاطفة لدى الأب والأم بارزة بصورة منفصلة في كل حالة ، فما يشعرون به فقط ومحتواه القيمي يقدم حالاً لهم كأمر محدد ، وفي العدوى العاطفية على الجانب الآخر ، نجد أن العاطفة القادمة المعدية لا تُفرض على الآخرين ، ولكن تعتبر خاصية بالأشخاص الآخرين ، وانتقال تلك الخبرة المشابهة تلعب دوراً هاماً في عملية تشكيل وتكوين التقاليد. [2]

وهذه التقاليد تمثل انتقالاً للخبرة سواء أكانت فكراً أو سلوكاً ذلك الآخر الذي يعتبر أمراً مضاداً ومناقضاً للتواصل المجرد أو المحاكاة المستمرة، ففي أي نوع من أنواع التواصل هناك شيئاً ما يضاف ليس معلومات فقط لكن حقائق مصاحبة تعني أن من يمدني بمعلومات يؤمن بهذا ... إلخ ، بالإضافة إلى أن الأخير غائب ، ومن هنا فإنني أؤمن بأن A هو B لأن الشخص الآخر يفعل نفس الفعل لكن بدون معرفة أنه يفعل هذا الفعل .

ويرى شيلر، أن الأنا تستطيع أن تشعر بالموافقة أو الغضب أو الحب لشيء ما أو سبب ما لأن تلك الأشياء المتعلقة بها تتم بنفس الأمر بطبيعة الحال ، فليس لديها شك في أصلها ، فهي انتقلت اليها من خلال التراث والتقاليد ، ومن هنا يستمد التراث والتقاليد قوته الإلزامية ، حيث تقوم بأخذ ردود فعل تراثية ظانين أنها لنا وتؤخذ من الموضوع الذي تشير إليه ويتم الأتفاق على أن محتوى التقاليد لا يظهر كشيء من الماضي كذكرى لكن أمر حاضر [3] .

ويرفض شلر النظريات الوراثية في تفسير عملية التعاطف ويرى أنها، لا تبذل جهداً في الاهتمام بالتعاطف الإيجابي ، والذي يعتبر الشعور الحقيقي البعيد المنال والمدخل للإنسان الآخر وموقفه الفردي الخاص والانتقال الحقيقي لذات الفرد، ولكنها تهتم بتفسير بعض الظروف العملية المؤقتة المرتبطة بعمل التعاطف، فضلا عن أن العاطفة المعاد إنتاجها أو الخبرة المعادة كالحزن المستشعر به جراء

(1) Ibid, P.P 47-48.

(2) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P.38.

(3) Ibid , P.39.

خيبة أمل شخص ما، ينبغى أن يكون شعوراً حقيقياً؛ لأنه ليس من المفترض أن يكون مسألة تذكر الشعور المشترك أو تم امتلاكه بل هو شعور معاد إنتاجه حقاً، ولذا سيكون هناك شعوراً جديداً مقدماً فأنه شعور ضعيف، لكن كلما كان التعاطف نقياً محضاً كان قليل الحدوث، وكلما كان كثير الحدوث كان أقرب في اللحاق بالعدوى الانفعالية .

ويبرر شيلر رفضة للنظريات الوراثية في عدة أمور هي :

أولاً : أن تكون بالضرورة محبوسين داخل سجن من خبراتنا المؤقتة.

ثانياً: أن التعاطف كثيراً ما يبدو مؤثراً في اختياراتنا وأفعالنا؛ حتى حياتنا الداخلية، وليس مجرد شعور مستمد بشكل آلي من الخبرات التي مررت بها. (1)

2-النظريات الميتافيزيقية :

(أ) نظرية شوبنهاور* :

إن أفضل نظرية معروفة تتعامل حصرياً مع أول أنواع الشفقة هي نظرية شوبنهاور (Arthur Schopenhauer(1788 -1860) :

فلقد بين شوبنهاور أن الرحمة والعاطفة هما الأساس الوحيد لنفي الآلام والعذاب وجعلها القيمة الأخلاقية الأولي، فمن خلالها يتحرر الإنسان من قيود المعاناة، ولذلك فهي أفضل علاج ، وتأتي المرحلة الأخيرة للخلاص من الآلام

---

(1) Ibid , P.P 44-50.

*شوبنهور (1788- 1860) : ميتافيزيقي ألماني , أشتهر بمقالاته اللاذعة وبكتابة الرئيسي (العالم ارادة وفكرة) , ولد في دانزج , وكان أبوه رجل أعمال وكانت أمه كاتبة , وتعود اهميته التاريخية الي : اولا : انه اول فيلسوف اتخذ من الالحاد موضوعا ,ثانيا : انه اول فيلسوف اوروبي وجه انتباه الناس الي الاوبانيشاد والبوذية وتأثر بها تأثرا عميقا , ثالثا : مذهب الارادة عنده كان فاتحة للاهتمام بالارادة وبالجانب اللامعقول في الفلسفة الحديثة . انظر : فؤاد كامل , وجلال العشري , وعبد الرشيد الصادق : الموسوعة الفلسفية المختصرة , دار القلم , بيروت , لبنان , ب.ت , ص-ص 273-274 .

والعذاب ومن قبضة الإرادة هي مرحلة الأخلاق ويتم الخلاص الكامل ويدرك فيه الإنسان أن الموجودات كلها تكون وجودا واحدا ، وبالتالي فإن الخلاص يكون بالقضاء على الكثرة أو الفردية . ([1])

معني ذلك أن الخلاص الحقيقي يتم من خلال العطف والشفقة والأخلاق، فالشفقة والتعاطف تنفي الارادة العمياء وتتخلص من الالام وتكشف عن ماهية الاشياء وتهديء الارادة وتضبطها.

فالقيمة الأخلاقية الإيجابية التي خصصها (شوبنهاور) في السعادة لا تقوم بالأساس على وظيفة التعاطف ، لكن تقوم على المعاناة التي وصلت بها ، وما دامت المعاناة موجه بالنسبة إلى الطريقة الجوهرية للخلاص ، فهل هى تمثل شكلاً من أشكال المعاناة وصورة لوجودها التي تكتسبه السعادة ؟ وهو أيضاً يأخذ موقفاً مضاداً ليس فقط للتقييم الفلسفي السليم للقيمة الأخلاقية للسعادة لكن للحكم الخاص بصوت اللياقة والتقاليد لأن السعادة نشعر بها في المثال الأول كعاطفة صعب الوصول إليها في ذات الفرد، وثانياً أنها لا تزيد المعاناة بل تنصفها ولا تساهم في مضاعفة الرضا ([2]).

فطبقاً له أن التعاطف يبين وحدة الكائن وتقضي على الفردية، وهي النظرية التي تدمر الخيال وطبقاً لشوبنهاور فإن يحتفظ بائتمان لفهم السعادة والتي تعتبر لها مضامين وجهات ونواحي. وهو يعتبر عاملاً رئيسياً في فهم أن التعزية هي مشاركة دقيقة في مخاوف الآخرين ولا تعتمد على تدخل أي صيغة من صيغ توظيف الشخص لدى موقف لشخص آخر، وبالرغم من تأكيده الخاص وتمسكه بدافعه الخاص وعاطفته الخاصة فأنه يخترق أفكار عصره في المعرفة والاعتراف

([1]) فؤاد زكريا : آفاق الفلسفة , ط1 , إراشويد للطباعة والنشر , لبنان , 1974 , ص 200 .

(2) Max Scheler : The Nature of Sympathy, P.51.

بأن السعادة لها سمة انتباهه وليست حالة عمياء من حالات الروح متمثلة في مصطلحات سببية. (1)

والأساس لتقييم شوبنهاور للسعادة يكمن في المعارضة المباشرة، أي المعاناة، اينما وجدت، سواء في الفقر أو المرض أو البؤس، ولا تكمن في إظهار الحب ولا في الراحة النفسية التي ربما تحملها العاطفة بل تؤكد على أنها زيادة المعاناة التي تعتبر طريقاً للخلاص، الذي يعطيها قيمة كمصدر للسمو الأخلاقي عندما يشعر الفرد بنفسه وبحزنه وأنه قد أصبح أخلاقي في عمومية المعاناة كجزء من المعاناة العالمية فإنه يحقق هدوءاً وطمأنينة. (2)

ويرى (شيلر) أن شوبنهاور يخلط بوضوح في عملية التعاطف بين عملية المشابهة الأخلاقية لتبصير مجرد عملية التعاطف لأنه حتى لو كان العالم قابل للتصغير نهائياً لمجرد إرادة ذاتية ، فإن مثل الأساس البديلي لقدرنا الذي لن يتغير ربما يحمل لنا حزناً واستسلاماً ، لكن لمن يهتم أبداً برد فعلنا على هذه المعاناة وبالتحديد التعاطف لكن مثل رد الفعل هذا ينبغي يعود إلينا ببساطة في البؤس ، وإذا استمر شوبنهاور في رسم خواتيم ونتائج منطقية في استحسان السعادة فإن النتيجة جعلها إلزامية في خلق المعاناة والتسبب بها للتأكيد على التجديد المستمر للفرص الخاصة بتدريب وتمرين وممارسة هذا التعاطف القيمي جوهرياً بالسعادة وعلى صعيد الأحداث نجد الشخص الذي يسير على خطى شوبنهاور في وصف السعادة هو هربرت سبنسر برضا غريب وقناعة في رؤية المعاناة لدى الآخرين بينما يتخيل ويتوهم الأمر الذي يمكنه من رد الفعل بطريقة عاطفية، ورؤيته

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P.51.

(2) Ibid, P.52.

الروحية ستكون عمياء حالاً عن كل القيم الإيجابية كالسعادة والفرح وهي شخصية محددة نجد تعبيرها الكامل من خلال شوبنهاور . [1]

كما نجد أيضاً في نظرية شوبنهاور أحد الأخطاء في وضع القيم، حيث تعيد فيه تذوق الألم والمعاناة بسهولة كمظهر من مظاهر السعادة الأخلاقية الحقيقية [2]، ويتضح أن شوبنهاور لم يتهم بصورة أولية بالتقييم الإيجابي لمعالجة السعادة بأنها لها قيمة أخلاقية أعلى من الابتهاج بجانب التمسك بها وجعلها أكثر توزيعاً في الممارسة.

وينهي شلر عرضة لنظرية شوبنهاور عن التعاطف ويرى أنها ، محاولة خاطئة لاشتقاق الحب من السعادة ، وتعتبر نظرية شوبنهاور حالة خاصة للنظرية الخاطئة للتعاطف لتعريف وتحديد صورة عينية لها ، ونوع التعريف الذي يصفه شوبنهاور يمكن أن يظهر فقط عن طريق نوع ما من العدوى العاطفية والتعريف أو التحديد الذي يحصر مفهوم حالة الشخص الآخر وإذا كان هذا المذهب الخاص بالسمو والارتقاء عن طريق السعادة لوحدتي مع الآخرين قد انتقل إلى نتيجة منطقية فإن مثل هذه الهوية الوحدويه للوجود سنجعل من غير المقنع كيف ستكون السعادة للشخص الآخر لها قيمة أخلاقية خاصة [3].

ب- النظرية الأحادية الميتافيزيقية :

إن النظريات الميتافيزيقية الخاصة بالتعاطف لها ميزاتها عند بحثها للمشكلة عن النظريات العملية للنوع الوراثي والنفسي الذي كنا نتعامل معه ، لقد قبلوا ما أكدت عليه تحليلاتنا ونقد النظريات الوراثية ، وما أكدت عليه من الجانب

(1) Ibid, P.53.

(2) Ibid, P.54.

(3) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P.55.

الآخر ، وبالتحديد العاطفة المتبادلة والتعويض والعاطفة المرافقة حيث تكون ظاهرة أساسية وما دامت مثل هذه الظواهر الأساسية لا يمكن تفسيرها مطلقاً فإنها ستكون خطوطاً غيبية ، وفي هذا فإن النظريات الميتافيزيقية على حق والفشل في معرفة هذه الحقيقة وإدراكها يعتبر سقوطاً مدوياً لنظريات التعاطف الوراثية العملية حيث تحاول تتبع أصلها تربطها بتطورها . (1)

أشهر الأنواع المعروفة من نظريات التعاطف الميتافيزيقية هي نظرية (الأحادية الميتافيزيقية) التي تبين أن ثمة مبدأ غائياً واحداً كالعقل أو المادة فعل مدار التاريخ كان له مصفوفة شاملة من المدافعين عنه مهملين المتيافيزيقين الهنود القدماء والبوذيين وعلماء الأساطير المسيحيين ، ولكن ربما تشير إلى بعض العلماء المحدثين المعاصرين مثل شيلنج Schelling وهيجل Hegle شوبنهار وإدوارد فون وهارتمان Hert mann (1882-1950) وغيرهم الذين مازالوا على قيد الحياة مثل برجسون (2) .

إن أول اختلاف وأهمية بين النظريات الأحادية لتفسير التعاطف تبين أن هناك مشاعر انتباهية تعتبر انتباهية جوهرياً ، وقد أنكرنا بالفعل النظرية التي تقول بأن فعل هذه المشاعر تنقل معرفة مضطربة ومخلوطة عن الوجود في شكل أفكار وقائعية ، ومثل هذه الاعتبارات تنطبق على قضية التبادل العاطفي للمشاعر الموجودة لدى الشخص الآخر والموجهة انتباهياً بهدف قيمة سلبية أو إيجابية وأن

(1) Ibid, P.56.

(2) Ibid, P.57.

العاطفة المتبادلة في شكل التعاطف ينبغي أن تكون وسلية للحصول على تبصير قيمي موضوعي في الواقعية الميتافيزيقية [1].

فيرى (هارتمان) أن نظرية التعاطف أنها وهم من أوهام العقل البشرى ، وذلك نجد له نظائر كثيرة فى حياتنا النفسية ، أننا نستشعر هنا عاطفة لا وجود لها إلا فى صميم نفوسنا ، ولكن بدلا من أن نفكر فى تلك العاطفة الكامنه بيننا وننفع نحو التفكير فى مصدرها أو باعثها ، وبذلك لنظن أننا نحس بما يجرى فى باطن نفوس أخرى أو أننا نستشعر بطريقة مباشرة عاطفة شخص ثالث لكن الحقيقة هى أننا نستشعر رد الفعل أو الانعكاس الذى أحدثته تلك العاطفة فى نفوسنا ، ويقول هارتمان ، أن هذا مشابه للوهم الذى يقع فيه الأعمى حين يتوهم أنه يملك الاحساس بكل شىء لا فى يده بل فى عصاه ، ولعل من هذا القبيل أيضا ، ذلك الوهم قد يستطرد علينا فى بعض الأحيان تعود إلى نسبية طابع مكانى لموضوعات لا توجد إلا فى صميم شعورنا فتصور تللك الموضوعات التى لا تخرج عن كونها مضامين لوعينا على أنها أشياء خارجية تشغل حيزا فى المكان . [2]

ويقول هارتمان أن التعاطف حين يوجد بحق فإنه يتخذ صورة تأثير وجدانى سلبى يترتب على إدراكنا لحالات الآخرين الوجدانية ، ولكن هذا التأثير السلبى إنما هو مجرد عاطفة سريعة خاطفة لأن شعورنا بما بين الموجودات من وحده شاملة أو " هوية كلية " إنما هو مجرد برق خاطف يشتعل على حين فجأه ، لكى لا يلبث أن ينطفىء سريعاً ، ومختفياً فى طيات سحب الأنانية الداكنة ، إن التعاطف يمكن أن يقوم بين الأفراد هو مجرد حالة سلبية ، بمعنى أنه فعل أو رد فعل ، لأى فعل

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P. 57.

(2) Ibid, P.59.

إيجابى ، وأن هذه الحالة السلبية لا تفترض وجود " هوية أصيلة" بين الأشخاص ، بل هى تفترض رجوع "انفصال جوهرى" بين الذوات . (1)

فأنا اتعاطف مع " الآخر" من حيث هو " آخر" وتعاطفى معه مجرد وظيفة وجدانية أو استجابة عاطفية لا حالة وجدانية أو فعل عاطفى، وليس من شأن هذه المشاركة الوجدانية أن تحطم الحواجز التى تحول دون وصولى إلى فهم الشخصية الباطنية للآخر فهما عميقاً: فإن التعاطف يكشف لى عن واقعية " الآخر" ويظهر على أن له قيمة مماثلة لقيمتى الخاصة، ولكنه لا يذيب شخصيته فى شخصيتى، ولا يقضى على المسافه الجوهرية الواقعية التى تفصل بيننا من حيث أن كلامنا يمثل مركزاً مستقلاً للنشاط الذاتى. (2)

والتعاطف القائم على إعادة الإنتاج العاطفي يعتبر فعلاً خاضعاً وليس فعلاً تلقائياً، وهو رد فعل وليس فعلاً، لكن هذا الأمر له عدة مضامين أخرى تتعلق بهذه المسألة، فالتعاطف هو في حد ذاته غير قابل أو قادر على مد قيود الفهم وحدوده حتى الخصوصية مطلقة، وهو غير قادر إلى حد ما على عمل تغيير في شكل العلاقة من علاقة شكلية إلى عميقة، والحب التلقائي فقط هو يمكن أن يحطم الحاضرين الخاص والغامض ليرجع الأمر بعد ذلك إلى قيود الخصوصية المطلقة (3)

ج- النظرية التطورية :

وهي تري أن التعاطف ما هو إلا وظيفة نهائية وأصلية للروح ، حيث كان النشوء العملي يؤدي إلى عمليات أخرى في المقام الأول مثل إعادة الإنتاج

(1) Ibid, P.60.

(2) Ibid, P.72.

(3) Max Scheler : The Nature of Sympathy, P.73.

والمحاكاة والتصور والتوهم وغيرها، وهذا لا يعني بصورة مجردة أن التعاطف هو مسألة داخلية لكنها أيضاً كانت جزءاً من دستور وقانون كل المخلوقات العاطفية بوجه عام ، وأضف إلى أنه كان مسألة داخلية بالتأكيد فإنه تم اكتسابه في حياة الفرد في صورة متعددة .

وتلك النظرية تهتم بالتطور الاطرادي لدى الفرد ، والغرض الأساسى من هذا التطور لا يعود إلى التعاطف مطلقاً لكن إلى سمو فهمنا لطبيعة العمليات الذهنية والفرق بينها لدى الآخرين ، ويجب أيضاً الاحتفاظ بهذه العوامل والأسس في أذهاننا عند الحكم مثلاً على العاطفة البدائية وموقفهم وسلوكهم في القبائل الأخرى ، أن تقدم الحضارة قد أفترض التوسع في التعاطف (المشاركة الوجدانية) وقام عليها أيضاً ، والائتمان الرئيسى للإصلاحات الأخلاقية من هذا النوع لا تعود فقط إلى العواطف المتوسعة بل للمشاعر والأحاسيس الموضحة التي تجلبها المعاناة من الحضارة عن التدريب عليها ، إن الذين يعانون هم الأكثر شعوراً بالمعاناة والذين يعانون أكثر من الآخرين الذين أقل إحساساً [1].

معني ذلك، أن درجة الإحساس والشعور مستقرة في كل من المواقف التوحدية أو التعددية أو الزيادة في وصفها كمنبه لا يؤثر في وصف العاطفة وليس للإحساس العظيم القيمة الإيجابية في حد ذاته، وقد قام كلاً من (هربرت سبنسر Herbert Spencer) (1820–1903) و(داروين Charles Darwin) (1809–1882) بتطوير هذه الفكرة بصوره مطولة ، قدمها داروين في كتاب "هبوط الإنسان " والتعبير عن العواطف لدى الإنسان والحيوان فى أخلاقيات سبنسر واجتماعياته ، ويقوم رأي داروين على مبدأين :

(1) Ibid, P.135.

1) أن زيادة وتطور العواطف أو المشاعر العاطفية هو سلسلة من الارتفاعات وتطورات الغريزة الاجتماعية .

2) إن المشاعر العاطفية مشكلة، وأن زيادتها تعتبر بالتطابق مع تقدم التطور الذهني، وتوحد الاهتمامات بين الشعب ككل ويؤخذ عنها كصراع من أجل الوجود بين أعضاء الأجناس، ويصبح أكثر تحولاً إلى صراع بين الأجناس والمخلوقات ككل وبين المعلومات الأخرى أو الطبيعية. (1)

ونفس الأفكار الأساسية ترتبط بهربرت سبنسر أيضا ، والذي يطلقها على التاريخ البشري ويرى في الأنانية المطردة والحاجة إلى الشعور العاطفي والتأصل الرجعي هو العودة لصفات الأسلاف التي ابتعدت عنها الأجيال السابقة التي تميل إلى أن بتقدم الأجناس أكثر وأكثر يتم إهمالها (2).

والآن هل هذه المبادئ التطورية يمكن الركون إليها ؟

أعتقد – في رأي شلر– لا ، والسبب في ذلك أن (داروين) يفقد عنصر فهم التعرف الخاص بالعاطفة ككل يتعاطف وبوصفها صورة أكثر دقة ، فهو يخطأ في فهم الحيوانات ، فطريقة الفهم لديه حيث بها يمكن الحيوان أن يؤثر في حيوان آخر ، والآن بلا شك فإن هذه العملية تتنوع وتختلف بطريقة ما طبقاً لنقص وتمام المعاشرة في الطريقة الاجتماعية للحياة ، وهنا فإن عملية التواصل والقابلية لها يمكن أن تزيد بالعدوى على مستوى الحياة الاجتماعية وقدراتها ، وهناك درجة اجتماعية معينة موجودة في هذه المشاعر التي لا تعدو أن تكون أقل من البهجة

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy, P.136.

(2) Ibid, P.136.

أو السعادة ، ولكن علي الجانب الآخر ، فالقسوة والحسد والبغض والكراهية تعتبر بعيدة عن كونها رغبات وأمزجة من نوع أحادي أو تعددي .

يقرر (شلر) أن عاطفة المشاركة الوجدانية تمثل وظيفة أولية للروح الإنسانية بمعنى أنها حافز فطرى لا يرتد إلى عمليات الحياة الفردية سواء أكانت محاكاة، أم تقمصاً وجدانياً، أم هلوسة، أم مجرد وهم، ولكن حين يسلم كل من (دارون وسبنسر) بأن التعاطف فطرى فى الإنسان، نراهما يقرران أنه يمثل كسباً اجتماعياً حققه النوع البشرى، وحجة دارون فى هذا الرأى أن نشأة المشاعر التعاطفية وترقيها قد كان ثمرة لنشأة الغريزة الاجتماعية وترقيها، وأنه ذلك أن الحيوانات التى وجدت فى الحياة الاجتماعية وسيلة نافعة للمحافظة على بقاء نوعها ، ولم تلبث أن فطنت إلى ما للمشاعر التعاطفية من قيمة كبرى فى تقوية أسباب تماسكها واتحادها ، بينما لم نجد أمثال هذه المشاعر أية فرصة للتكون أو الترقى لدى الحيوانات المتوحشة التى كانت تحيا حياة انعزالية متفردة . وهربرت سبنسر يقرر أن تطور الإنسانية سائرة فى طريق إزدراء التعاطف وترقى الإيثار، على حين أن الانانية وانعدام المشاعر التعاطفية ظاهرة تخلفية تعبر عن ضرب من النكسه أو الارتداد نحو طور الهمجية. ([1])

ودور كل من (دارون وسبنسر) فى تفسير نشأة التعاطف ، إنما تنطوى فى الحقيقة على خلط واضح بين " المشاركة الوجدانية" و" العدوى الوجدانية " فليس من التعاطف فى شىء أن تنتقل الانفعالات أو العواطف التى يستشعرها حيوان ما إلى حيوان آخر ، وليس من التعاطف فى شىء أيضا أن تتنوع أشكال " العلاقات الاجتماعية " القائمة بين أفراد الجماعة الواحدة ، إن التعاطف " لا يسير دائماً جنباً إلى جنب مع نمو الحياة الاجتماعية ، فعواطف كالقسوة ، والوحشية ،

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P.90.

والخبث ، والغيرة ، والحسد ، والتشفى ، والتلذذ برؤية آلام الآخرين هى جميعاً مما ينشأ فى كنف الحياة الاجتماعية .

ومن خلال تلك النظريات، يعلق شلر عليها في مجموعة من النقاط هي:

أ-أن العاطفة المتبادلة من أجل التعلق الوظيفي والنشأة الوراثية، من المستحسن أنها تنطبق على الوظائف العاطفية في A بصورة مقنعة في بعض الأحيان، قد تضمن المحتوى الجزئي أو الكلى أو حتى قدمت لنا ما بين أيدينا حالاً. (1)

ب- أن التعاطف يحدث تحت مستوى معين من الوعي القصدي .

ج- أن التعاطف عملية آلية وذاتية فى الجانب العاطفى .

د- أن التعاطف محدد بمحيط وبيئة الوعي الحيوي في الفاعل والمفعول على حد سواء .

ويضيف (شلر): وهناك صفات لا يمكن الخطأ فيها لكنها لا تنطبق على العاطفة المتبادلة وقد وضح بالفعل أنه من الضروري أن سمات الحالات الانفعالية التي تستعين بها يجب أن ندركها في أعمالنا وأفعالنا قبل أن ندخل فيها ونضخمها ، وهذه السمات غير المعروفة لا يمكن معرفتها أصلاً باستشعارها تبادلياً لكن فقط في المثال الأول من خلال التعريف العام والشائع ، وهو مبدأ أساسى في تطور الشعور ونشأته في كل مكان سواء من الطفل إلى البالغ والحيوان إلى الإنسان أو من المتشرد إلى المتحضر (2) .

(1) Ibid, p. 22.

(2) Ibid, P.96.

هـ-أن الاهتمام بالمنفعة من خلال اشكال التعاطف المتبادلة والتبادلية، فكانت العقول الأخرى عامة تعاد إلينا في حالات فردية مالكة الواقعية مساوياً لواقعيتنا ومثل هذا القبول بالحالة العامة يعتبر حالة وشرط سابق للانتقال الي المتعة التلقائية، مثل حب شخص ما ببساطة لأنه إنسان، حتي نستطيع بسهولة إعادة إنتاج السعادة والحزن داخلنا كشخصيات في رواية أو أشخاص في مسرحية كما يقدمها الممثل لهم، ولذا فإنه لتحقيق التعاطف بدقة يجب التغلب على الأنانية وحب النفس واختيار الذات وتفضيلها والذاتية الفردية ككل [1] .

و - أن الإدراك الانفعالي والعاطفي لوحده البشرية كأجناس يجب بالفعل تحقيقه في التعاطف، إذا كانت المنفعة الإنسانية في هذا المضمار محتملة ارتباطها واضح ومستدل عليه من حيث أنه لا المنفعة العامة ولا التعاطف يعتمدوا على التمييز المسبق بين القيم السلبية والإيجابية للإنسان أو قيم التعاطف التي نشارك فيها. (2)

ويرى (شلر) أن أي نوع من أنواع البهجة أو الحسرة تفترض بعض الأنواع من المعرفة المتعلقة بالواقع والطبيعة والنوعية الخاصة بالخبرة لدى الآخرين، فليس من خلال الحسرة أستطيع أن أتعلم عن وجود ألم لدى شخص ما، لأن الألم ينبغي أن يظهر بشكل ما إذا كنت ألاحظ وأراقب ثم أشارك وأساهم فيه فيمكن للفرد رؤية أو النظر إلى وجه شخص ما أو طفل ما يصرخ كأمر طبيعي بدني مجرد النظر إليه كتعبير عن الألم والجوع ..... إلخ، بدون وجود حسرة لدى الطفل (3).

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P.97.

(2) Ibid, P.98.

(3) Ibid , P.8.

وكلا الأمرين مختلفان تمامًا حيث أن خبرات الحسرة والتعاطف عادة ما تكون مضامين الخبرة لدى الآخر التي فُهمت بالفعل ، وإن ظهور مثل هذه الخبرات غير قائمة في المثال الأول على العاطفة أو التعاطف ولا تنطبق بصورة مجردة على المعرفة الموجودة في الفرضية ، فمثلاً X تعتبر موجوداً متألما وهذا الألم لا يعود إلى الحكم الوقائعى الذى يعانى منه x ومن المهم هنا أن نقول بأننى أستطيع رؤية مشاعرك لكن لا اشعر بالحسره من أجلك والحزن عليك ، ومثل هذه الرؤية أو الشعور المرئي يظل داخل البيئة الإدراكية ولا يعتبر فعلاً وثيق الصلة أخلاقياً ، فالمؤرخ ذو الدوافع والروائي ومكونات الآداب الأهلية والفنون جميعاً بدرجة عالية هدية أو منحة لرؤية لمشاعر الآخرين ولا يوجد لديهم الحاجة الحادة الشديدة لهم في اقتباسها أو مشاركتهم مشاعرهم الشخصية ، وإعادة الإنتاج للشعور أو الخبرة يجب أن تكون مميزة عن المشاركة الوجدانية فهي في الواقع حالة شعورية أو استشعار وإحساس بمشاعر الآخر وليس فقط المعرفة بها ولا الحكم عليها أو الحكم على الآخر بأنه يحوزها [1].

فإن الآخر له ذات فردية تختلف عن غريزتنا وذاتنا ولا نستطيع كلياً فهم هذه الذات فالآخر له بيئته الخاصة، ذات الخصوصية الشخصية المطلقة التي تعطي لنا، ولكن المحاكاة يجب أن ينتج عنها إعادة إنتاج خبراتنا السابقة، وعامة فإن المحاكاة وحتى ولو كانت مجرد ميل مفترض نوعاً ما من المعرفة بخبرات الآخرين، فلا نستطيع تفسير ما يفترض هنا عمله، فإذا كنا نحاكي مثلاً الخوف أو المرح فالمحاكاة لا تسمى أبداً بصورة مسبقة من خلال الصورة المرئية للظاهرة [2].

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy, P.9.

(2) Ibid, P.10.

وهذا المفهوم ربما يكون محتملاً في حد ذاته من خلال الميل للمحاكاة وإعادة إنتاج فرح أو خوف مجرب بصورة مسبقة , وإذن فإننا ندور في دائرة مغلقة، وهذا ينطبق على محاكاة الألغاز والحجج ، وهذا يفترض بالفعل محاكاة القصد الداخلي للفعل الذي تفهمه من خلال حركات جسمانية فنومنولوجية مختلفة ، وعلى النقيض ، فإننا نستطيع فهم خبرة الحيوانات كما أننا لا نستطيع محاكاة أسلوبهم في التعبير فمثلاً الكلب الذي يعبر عن فرحه بالنباح وهز ذيله أو الطير بالشقشقة ، والعلاقات بين التعبير والخبرة له أساس جوهري من الترابطات المستقلة لأفعال البشر خاصة في التعبير .

ويبدو واضحاً أن ما استطاعت هذه النظرية تفسيره لنا هو النقيض تماماً للفهم الحقيقي للتعاطف ، وهذا النقيض ، وهو العدوى بإنفعالات الآخرين التي حدثت في شكلها البدائي الأولى في سلوك الجماعات والجماهير ، وهنا في الواقع يظهر عمل الحجج التعبيرية العامة المتعارف عليها في المثال الأول ذات الأثر الثانوى على إنتاج عواطف مشابهة وجهود وأغراض بين الناس أو الحيوانات الذين لهم صلة بالموضوع ، فمثلاً نجد القطيع أو السرب يأخذ خوفه من رؤية إشارات وعلامات إنذار في قائده وكذلك في البشر ، إلا أنه يجب أن يكون هناك فهم متبادل تام [1].

ويحدد (شلر) مجموعة من السمات والملامح العامة لقيمة التعاطف وهي كالآتي :

1- أن التعاطف يحدث تحت مستوى معين من الوعي القصدي.
2- إن حدوثه دائماً ما يكون آلياً وليس فيه أمر اختيار أو ذات ارتباط آلي .

(1) Ibid, P.11.

3-أنها تحدث عندما تكون بيئتين لوعي الإنسان موجودتين بطبيعتهما فيه وهي خالية من محتوى معين ، وللوصول إلى تحديد معين يجب على الإنسان أن يسمو بنفسه تاريخياً على الجسد وكل رغباته ، بحيث يكون شيء يميل للرقي بالوجود الجماعي سيؤدي إلى جعل الفرد كالبطل . [1]

وعلى الجانب الآخر، ستكون كل اعتبارات الأشياء في ضوء اهتمامات الشخص ومظهره ، وإذا غمس نفسه في المشاعر البدائية ومواقف المجموعة في آن واحد سيرتقع ويسمو في فوق ظروفه البدائية ويصلح من موروثاته النفسية والروحانية ، وإذا كان هناك ما يؤكد هذه الخبرات والملاحظات فإن هناك خبرة الحرب العالمية الأولى ، فبالرغم من اندلاعها ، وأياً كان من عليه اللوم ، إلا أن موقف الحرب قد نقل كل المجتمعات إلى موجودات حقيقية واقعية لنوع قوي موحد ، فهى تمجد الفرد وتسمو بالإنسان فوق رغباته الدنيوية بينما تجعله عاجزاً كشخصية روحانية ، وتبين المجموعات النورية والحركات التكنيكية حالة مماثلة للهوس المجتمعي حيث يندمج فيها الجسد والروح معاً في عاطفة فردية تهذب السلوك والنشاط المجتمعي [2].

ونحن نلقي الضوء على غموض مبدأ التعاطف الذي يؤثر في مشكلتنا ومسألتنا بصورة أساسية، فربما يفرح الإنسان لفرح آخر وربما يألم له أيضاً وكلاهما يتطلب أن تكون حالة الذهن مفهومة، لكن مفهوم (داروين) كان مختلفاً بعض الشيء فقد كان يحمل الخير دائماً للتعاطف ، والآن هي مسألة أهمية قصوى للأخلاق لأنه من الواضح أن التعاطف له قيمة أخلاقية في المقام الأول ومن

(1) Max Scheler : The Nature of Sympathy , P.P.35-36.

(2) Ibid, P.P.35-36.

الواضح أيضاً أن كل المواقف المرتدة كانت سلبية القيمة فالحياة الاجتماعية وزيادتها ترتبط بوجود التعاطف من النوع الإيجابي فقط [1].

وهذا يمكن تطبيقه على الإنسان بالطبع وتاريخه فنمو العلاقات الاجتماعية بين الشعوب والتجمعات الوطنية التحتية والوحدة المتزايدة لاهتماماتهم لم يهتم بالاستجابات متغايرة الأغراض كتلك الاستجابات ، وذلك لأن كل تأثيرهم كان على قدراتنا العقلية في الفهم فقط لكن إثراء الفهم يعود إلى أن العمل الأليف أو المعاشرة الاجتماعية البشرية ، قد بينت هذه الاستجابات بصورة مادية أكثر ومتنوعة ولقد أصبحت متنوعة على غير المعتاد بالرغم من أن التنوع يمتد إلى استجابات ذات قيمة بصورة سلبية ، وعبر التاريخ كانت الحضارة قد أعلت من شأن الأشكال والأنماط الجديدة للقسوة والغيرة والكراهية ..... إلخ ، التي لم تكن موجودة من قبل والاتصالات الأقرب والتوحد المتزايد للاهتمامات منذ جلب رذائل جديدة كما جلب أيضاً فضائل جديدة ، ولا تعتبر لأشياء اجتماعية إلا إذا تم تداولها من شخص لآخر وتطور مثل هذه القدرات لا تعتبر نتيجة عملية للشكل الاجتماعي الخارجي للحياة وعامة فإن السيطرة على العلاقة تعتبر أحد التعلقات المتوازنة [2].

<u>التعاطف كقيمة أخلاقية</u> : إن الأفعال الحقيقية والأصلية للتعاطف لها قيمة أخلاقية إيجابية إلا أن هذا حقيقي بالنسبة للمشاعر المتغيرة والأغراض عامة ذات القيمة المحددة ، ويصبح التعاطف قيمة اخلاقية طبقاً لمستوى العاطفة والانفعال ، والتي ربما تكون روحية أو عقلية أو حيوية أو حساسية ، وسواء أكانت السعادة من النوع الأول حيث تكون مميزة عن مجرد سعادة لشخص ما وقيمة العدوى العاطفية تعتبر سلبية أكثر منها إيجابية ، وإذا ما كان التعاطف موجهاً على أساس مركز الوعي الذاتي والاحترام الذاتي في شخصية الآخرين أو مجرد التوجه إلى

(1) Ibid, P.137.

(2) Max Scheler : The Nature of Sympathy, P.138.

ظروفه ، بالإضافة إلى أن القيمة الكلية للتعاطف تتنوع طبقاً لطبيعة وقيمة الموقف القيمي والتي تعتبر توثيق لحزن الآخرين أو سعادتهم ، بمعنى آخر أن التعاطف مع سعادة الآخرين وأحزانهم أمراً ايجابيا ، فمن المفضل التعاطف مع المشاعر الإنسانية المختلفة .

والتعاطف يحمل هذه القيمة بشكلها الصحيح وليست موافقة مرتبطة بأفعال الإحسان والمنفعة والتي ظهرت من خلال التعاطف وخاصة السعادة [1] .

خاتمة :

نخلص من ذلك العرض إلي أن ، التعاطف بين الإنسان والآخر هو أمر فطري ، ولا يعود للغريزة ولكن مصدره العاطفة ، وهو يتم بالحدس المباشر وليس بالعقل ، والتعاطف بين البشر أمراً ضرورياً حتي يتم التعاون بينهم في مواجهة صعاب الحياة التي تواجههم .

وأقام شلر عاطفة التعاطف بين البشر على اساس نفسي ومشاعر الفرد هي التي تحركة ليسعد بسعادة هذا ، ويحزن لحزن هذا ، ولكن لا يعني ذلك أن يتم تداخل الذوات مع بعضها ولكن ما يقصده شلر هو تعاطف دون تداخل بين الذوات ، ويكون السؤال الآن ، هل هذا التقارب بين الأنا والآخر يعود الي تلك العاطفة الفطرية التي تسمي التعاطف ، أم أن ثمة دور لعاطفة المحبة ؟ ، فهل المحبة بين الأنا والآخر هي المسئول عن حدوث التعاطف بينهم ؟ ، ووجود العداء بين الأنا والآخر يمنع حدوث عملية التعاطف ؟ ، هذا ما يجعل السؤال : ما طبيعة شعور المحبة عند شلر ؟ سؤالاً ضرورياً .

(1) Ibid, P.138-139.

قائمة المراجع :

1- احمد عبد الحليم عطية : فينومينولوجيا الشخص وتجربة العيش المشترك "ماكس شلر ولحبابي نموذجاً ، أوراق فلسفية ،العدد 62، 2020.

2- جميل صليبا: الجزء الأول: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ، عام 1982.

3- زهير الخويلدي : تشريح العقل الغربي ، " مقابسات فلسفية في النظر والعمل ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، لبنان ، 2013 .

4- زكريا ابراهيم ، مشكلات فلسفية"مشكلة الحب" ،مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، 1984.

5- فؤاد كامل ، وجلال العشري ، وعبد الرشيد الصادق : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ب.ت .

6- وفاء عبد الحليم محمود، فلسفة القيم عند ماكس شلر ، دار االوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 2004.

7- فؤاد زكريا : آفاق الفلسفة ، ط1 ، إراشويد للطباعة والنشر ، لبنان ، 1974 .

8- The Encyclopedia of Philosophy : Editor in Chief، Paul Edwards، new york، 1967، volume one.

9- Max Scheler: The Nature of Sympathy،Translated From The German by Peter Heath ،B.A.، London. 1970

10- Scheler- Formalism، Preface،ed.1973 and ،Phenomenology and the theory of Cognition in selected philosophical Essays ، trans.by David R. Lachterman، Ed.1973